اديان الاوائل

ديانة الفرس القدماء

الفرس القدماء ويسمّون ايضًا بالايرانيين فرع من الاصل الآري[1] الذي منهُ اكثر اهالي الهند واوربا. كانوا في اوّل امرهم يسكنون اواسط اسيا شمالي هندكوش هم واخوتهم الذين ارتحلوا الى بلاد الهند ويتكلمون كلهم لغةً واحدة ويدينون بدين واحد. ثم لما كثر عددهم وضاقت بهم الارض نزل بعضهم الى بلاد الهند مارين بطريق افغانستان وسار البعض الآخر في وادي الاكسوس وجعلوا مركزهم بلخ وسمرقند. ولما كانت البلادان الشان اختارها هذان الفرعان مختلفتين في الحر والبرد والخصب والجدب اختلفت اطوارهما من تاثير الاقليم فيهما واختلف اعتبارهما لآلهتهما فعظّم هؤلاء بعض هذه الآلهة وعظم اولئك البعض الآخر. ثم انتشبت بينهم الحروب وكل فريق يعظّم آلهة لا يعظمها الآخر ويعزي انتصارهُ اليها وانكسارهُ الى آلهة اعدائهِ حتى صار كل فريق منهم يحسب آلهتهُ آلهة الخير وآلهة غيرهِ آلهة الشر. وفي ذلك الحين ظهر نبي الفرس العظيم زارا ثُشترا[2] (وقد حرّف الفرس اسمهُ فجعلوهُ زردشت والاوربيون فجعلوهُ زروستر) وادّعى انهُ رسول رب العالمين ارسلهُ ليهدي الناس الى سواء السبيل ويردهم الى ديانة اسلافهم ويصلح ما فسد من معتقداتهم وفي ذلك يقول الفردوسي[3] في الشاه نامه "ظهر ببلخ في عهد الملك كاي مستشب رجل طاهر اسمهُ زردشت بيدهِ اناءٌ فيهِ نار تضرم بلا دخان ولا حطب ولا بخور وقال للملك اني نبي مرسل اليك لاريك سبيل الله وهذه النار التي بيدي من الفردوس اعطانيها الله نفسهُ وقال لي خذها فان فيها صورة السماء والارض خذ مني الآن الدين

---

(١) يطلق الاصل الآري على كل سكان اوربا (ما عدا الاتراك والمجر واهل فنلندا ولابلندا) وعلى الارمن والفرس والافغان وسكان القسم الشمالي من الهند فان هذا الاصل كان يسكن اولاً اواسط اسيا الى الشرق من بحر قزوين والشمال من هندكوش فتفرع منهُ اولاً السلتيون وارتحلوا الى اوربا مارين على بلاد العجم واسيا الصغرى ثم تبعهم اسلاف الابطاليين واليونانيين والتوتونيين وبعض هذه الشعوب اتى اوربا على الطريق التي بين بحر قزوين والبحر الاسود. ثم انقسم ما بقي من الاصل الى قسمين قسم ذهب جنوبًا الى بلاد الهند وقسم ذهب الى بلاد الفرس وهم الفرس الذين نحن في صددهم وكل ذلك من المرجحات

(٢) معنى اسمهِ الرئيس الجليل

(٣) هو ابو القاسم منصور بن فخر الدين احمد الفردوسي الطوسي الشاعر المشهور ولد بشتاب بقرب طوس بين سنة ٣٠٤ و٣٢٨ هجرة وكتابهُ الشاه نامه المشار اليهِ تاريخ لملوك الفرس نظمهُ في ستين الف بيت في مدة ثلاثين سنة ويفضلهُ المتاخرون على كل التواريخ المنظومة

الحق واستقر به وازدرى بالدنيا. وكان مع النبي كتب. قال ان الله كتبها وهي الاوستاوزند[٤]. وكانت ولادة زردشت بالري على مقربة من طهران في اواسط المئة السادسة قبل المسيح على ما يقوله الفرس الآن او في جوار بلخ في المئة الثانية عشرة قبل المسيح على ما ذهب اليه بعض المحققين من الافرنج كالاستاذ منير وليمس وغيره اي قبل ان وصل قدماء الفرس الى ايران. والظاهر ان الفرس لبوا دعوته وارتشدوا بارشاده ثم ارتحلوا الى بلاد ايران وسكانها يومئذٍ المجوس فاختلطوا بهم اختلاط الحابل بالنابل وسموا ايرانيين وفسدت ديانتهم بامتزاجها بديانة المجوس ولبثت على ذلك الى ان قام داريوس هستسبس واصلح شانها وعزز امرها وجعلها ديانة مملكته فلبثت معتزة الى ايام الاسكندر وحينئذٍ دخلها الخلل من امتزاج الفرس باليونان حتى كادت تتلاشى ولكن لما قام اردشير بابكان سنة ٢٣٥ للمسيح اعادها الى رونقها الاوّل وجمع ما بقي من الاوستا وترجمه الى البهلوية فبقيت ديانة مملكة الفرس الى

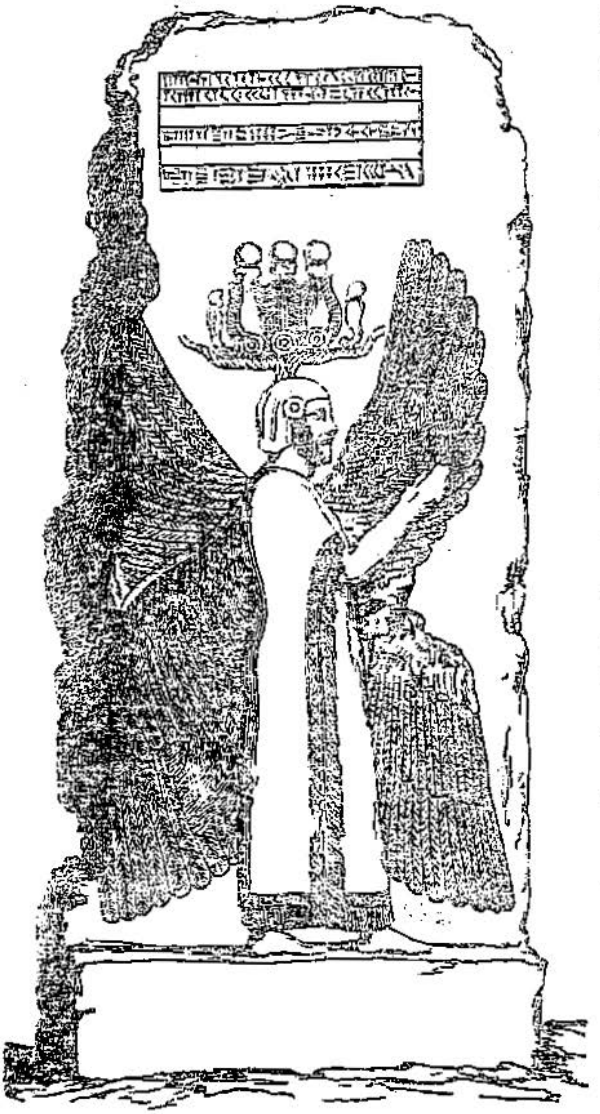

الشكل الاول

(٤) الاوستاوزند ومعناهُ المتن والشرح ويسميهِ كتاب الافرنج الزندافستا كتاب منظوم يتضمن ديانة الفرس نظم متنهُ زردشت نفسهُ وشرحهُ مَنْ خلفهُ. قال بعضهم انهُ كان فيهِ الفا الف بيت من نظم زردشت ثم فقد اكثرهُ في ايام الاسكندر ثم جمع ما بقي منهُ الاكاسرة بنو ساسان

ان انقضى امر الاكاسرة بني ساسان في خلافة الامام عمر (سنة ٦٥١م) فاعتنق اكثر اتباعها الاسلامية وتشتت من بقي منهم ايدي سبا ولم تزل شرذمة حقيرة منهم ببلاد الفرس ونحو سبعين الفًا ببلاد الهند وهم محافظون على النار المقدسة وعلى ديانة آبائهم

ويظهر من الاوستا وممَّا رواهُ المؤرخون عن الفرس القدماء ومن معتقدات الفرس المتاخرين ان الديانة الفارسية القديمة كانت توجب الاعتقاد بالهٍ واحدٍ وتحظر على اتباعها عبادة الاصنام وبناء الهياكل واقامة المذابح وتعلم ان في الله مبدأين لازمين مبدأ الخير ومبدأ الشر الاوَّل للبناء والثاني للخراب وان كليهما لازم لقيام الكون فلا حياة بلا موت كما انهُ لا موت بلا حياة ولا نور بلا ظلمة ولا وجود بلا عدم ولا حق بلا بطل ويسمَّى المبدأ الاوَّل أهُورا مَزْدا[٥] ثم صحَّف اسمهُ فصار هرمزد والثاني أنغرُو مانيوس[٦] ثم صحَّف فصار اهرمان. هذا تعليم زردشت قبل ان ارتحل الفرس الى بلاد ايران. ثم لمَّا امتزجوا بالمجوس على ما تقدَّم دخل الفساد في معتقدهم فصار هرمزد اله الخير واهرمان اله الشر ومن ثمَّ صار الفرس من الثنوية بعد ان كانوا من الموحدين وصاروا يعتقدون ان هذين الالهين وكانا من البدء وخلقا كل شيء ودابهما الحرب والخصام وكلٌّ منهما يحاول قهر خصمهِ واذلالهُ فيرسل اله الخير الرياح والامطار ليروي الارض ويجعلها تاتي بالخيرات ويرسل اله الشر القحط والجوع ويجعل الارض تنبت الشوك والحسك ويرسل عليها الهوام والحشرات ويبتلي الناس بالامراض والآفات. ولكلٍّ منهما انصار واتباع يجرون مشيئتهُ ويتممون اوامرهُ وعلى انصار اله الخير سمة من الروَّساء وهم العقل الصالح والاستقامة التامَّة والحكم التام والعبادة الطاهرة والصحة والخلود ويطلق عليهم كلهم اسم المنعمين الازليين وعلى جنودهِ قائد عظيم اسمهُ سروش وصورتهُ في الشكل الاوَّل ويلقبونهُ "بسروش الطويل الجميل الصالح" وليس لجند اله الشر قائد عام مثل هذا بل عدَّة قادة كالقائد خراب والقائد تهب والقائد خداع والقائد فقر ونحو ذلك ممَّا لا مرية في انهُ كان اسمًا لمعانٍ او صفات في الهام هذا ثم جُهِل معناهُ بفساد اللغة فحسب اسمًا للذات. وامثلة ذلك كثيرة في كثير من الاديان

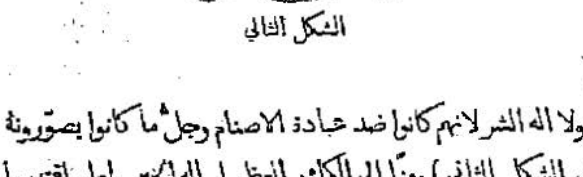

الشكل الثاني

ولم يكونوا يصوِّرون اله الخير ولا اله الشر لانهم كانوا ضد عبادة الاصنام وجلُّ ما كانوا يصوِّرونهُ انسان ضمن دائرة مجنحة (كما في الشكل الثاني) رمزًا الى الكائن العظيم او اله الخير ولعلهم اقتبسوا

(٥) ومعناهُ الروح الحكيم او الجوَّاد (٦) ومعناهُ العقل المظلم

ذلك من البابليين والاشوريين . وكانوا يعظمون مثرا اي الشمس وزاد اعتبارا الشمس عندهم على توالي الزمان حتى احلوها المنزلة الاولى بعد هرمزد ووضع داريوس صورتها مع صورة هرمزد على قبره كما ترى في الشكل الثالث وتبعهُ في ذلك من خلفهُ من الملوك

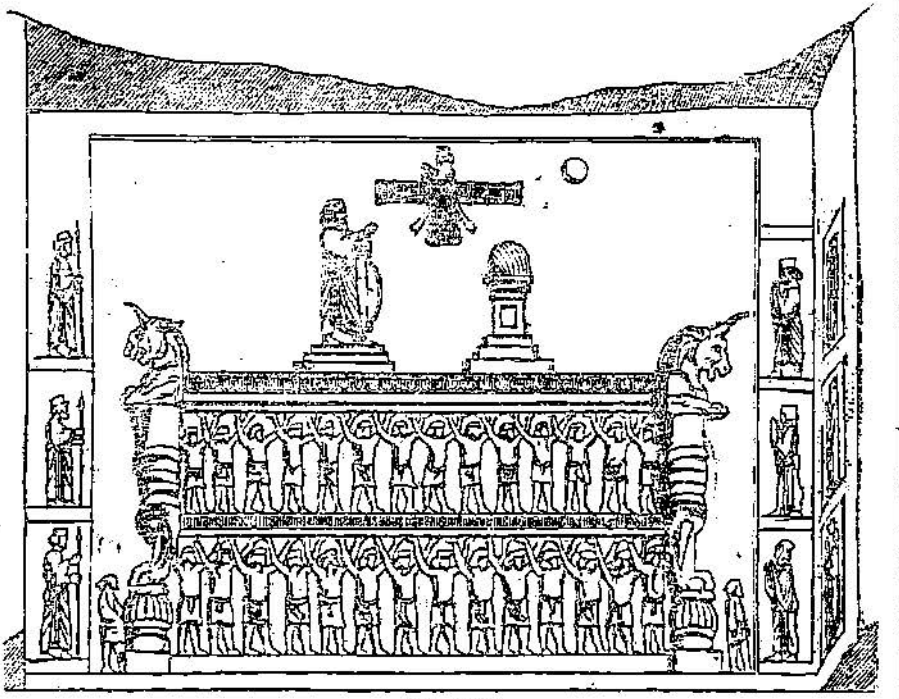

الشكل الثالث

ومن معتقداتهم ان الانسان من مخلوقات هرمزد اله الخير ولذلك كان عليهِ ان يطيع خالقهُ ويعصي اله الشرّ وخلائقهُ وان واجباتهُ ممارسة الفضائل الاربع وهي التقوى والطهارة والاجتهاد والصدق. فالتقوى هي الاعتراف بان هرمزد هو الاله الحق والاكرام للملائكة بتقديم المقدمات والصلوات والتسابيح والضحايا. والطهارة هي ممارسة بعض الفرائض والشعائر الدينية والتشبث بالطهارة في الفكر والقول والفعل لان هرمزد "طاهر ورب الطهارة". والاجتهاد مدارهُ على حرث الارض واستئصال الشوك والحسك منها واحياء مواتها. والصدق الفضيلة الاولى عندهم قال هيرودوتس ان الحدث الفارسي يُعلَّم ثلاثة اشياء فقط وهي ان يركب الخيل ويوتر القوس ويتكلم بالصدق . وكانوا يعدون الكذب شرّ الرذائل واردئها

وكانوا يعتقدون بالخلود وعندهم ان نفوس الاخيار والاشرار تمر حال مفارقتها للجسد على السراط وهو جسر ضيق في طريق الفردوس منصوب فوق الهاوية فنفوس الاخيار تعبر عليهِ سالمة ويعينها

على ذلك رئيس الملائكة سروش وصلوات اصحابها النسور على الارض . ونفوس الاشرار تسقط في الهاوية مكان العقاب . وعندما تصل النفس الصالحة الى الفردوس يلاقيها "العقل الصالح" ويحييها بقوله طوبالك ايتها النفس المقبلة علينا فانك ابدت الموت بالخلود . اما نفوس الاشرار فتقيم في الهاوية محل التعاسة والشقاء . والمتاخرون من الفرس يعتقدون بقيامة الاجساد وهو تعليم محدث عندهم على الارجح

الشكل الرابع

وكان المجوس الذين اختلط الفرس بهم يكرمون النار والهواء والماء والتراب ويحرسون النار المقدسة على مذابحهم معتقدين ان اصلها من السماء وان عليهم ان يحرصوا عليها لكي لا تنطفئ ويضحون الضحايا للانهار والجيرات والينابيع ولا يجسرون على تدنيسها بشيء ولو بغسل ايديهم فيها . ويسكبون السكائب للارض من الزيت واللبن والعسل ويمارسون الكهانة والعرافة وتعبير الاحلام ويلبسون الحلل البيضاء والقلانس الطويلة مما يجعل لهم هيبة ووقارًا في عيون الناس وهم مع ذلك يعافون عبادة الاصنام على انواعها فلم يستنكف الفرس من مخالطتهم واتخاذهم كهنة او موابذة لهم ومزج الديانة الزردشتية بالديانة المجوسية . واضطرهم ذلك الى ان يطعموا موتاهم لطير السماء ووحش البرية اقتداء بالمجوس لئلا يدنسوا النار اذا حرقوهم بها والارض اذا واروهم فيها والماء اذا طرحوهم فيه والهواء اذا وضعوهم في تابوت فصعدت رائحتهم اليه . والشكل الرابع صورة بناء يضعون موتاهم عليه لكي تاكلها الكواسر

وقد ترجمنا هنا فصلاً من الاوستا وفصلاً آخر من قانون ايمان الفرس المتأخرين لكي يظهر

معتقد المتقدمين والمتأخرين منهم باجلى بيان اما فصل الاوستا فيقول فيه

اني ابيّنُ مدحَ السيد العلمِ ... أُمُورَ مَزْدا لمن يصغي الى كلمي
انعم عليَّ فهُوَ مأتو (٧) بمغفرة ... واسمع اطايبَ ما يهدي اليك في
لكي نمارسَ ما اخترناهُ معتقدًا ... من قبل ما نقتدي لحمًا على وضمِ
هنان روحان (٨) منذ البدء قد وَجَدا ... في الخير والشرّ خيرًا غير منقسمِ
وميّزا الخير من شرّ يخالفهُ ... في الفكر والقول والافعال في القدمِ
هذي الحياة ومعناها الموت قد خلفا ... في البدء قسمةَ اهل النور والظُّلَمِ
فاختار خيرُها الخيرَ المتيم بهِ ... واختار ذو الشرّ شرًّا جاء بالالمِ
تآمرت زُمَرُ الاشرار واتفقت ... على مبادرة الاخيار بالنقمِ
لكنَّما الفوزُ للاخيار محفظٌ ... والعلم والفضل من افضال ربهمِ
والارض تعطيهم بأسًا وعافيةً ... وانت يامَزد قد أكرمتَ بالنعمِ
ويومُ ربك آتٍ يومُ نقمتهِ ... من كل مَن اغضبوهُ في صنيعهمِ
يومٌ يجازي بهِ الابرارَ خيرَ جزا ... لانهم سلكوا بالحق والذممِ
فاسعوا لتُلفَوا من الداعين جبلَهمُ ... الى التقدم والاصلاح والعلمِ

واما قانون الايمان فيقول فيه

نؤمن بالهٍ واحدٍ خالق السموات والارض والملائكة والشمس والقمر والنجوم والنار والماء وكل الاشياء . اياهُ نعبد ولهُ نسجد وبهِ نستعين الهنا لا وجه لهُ ولا شكل ولا مكان محدود . لا مثيل لهُ ولا نستطيع وصف مجدهِ ولا تدرك عقولنا كنههُ . لهُ الف اسم واسم ولكن اسمهُ الاوّل هرمزد اي الروح الحكيم ... وعندما نعبدهُ نلتفت الى بعض خلائقهِ كالشمس والنار والماء والقمر . وقد علمنا نبينا زردشت ان الله واحد وهو نبيهُ وان نؤمن بالاوستا وبجودة الله وان نسلم لمشيئتهِ ونطيع اوامرهُ ونعمل الاعمال الصالحة ونقول الاقوال الحسنة ونفتكر الافكار الطاهرة ونصلي خمسًا كل يوم ونؤمن بالحساب وبانهُ يكون في اليوم الرابع بعد الموت ونرجو السماء ونخاف جهنم ونؤمن بيوم القيامة

اما الفرائض التي يمارسها الفرس الآن والاطوار التي يتمازون بها عن غيرهم فما لا يحتمل المقام وصفهُ وهم وان كانوا شرذمة قليلة فلهم اعتبار جزيل لانهم بقية قوم اعترفوا بوحدانية الله عندما كانت اكثر امم الارض عاكفة على عبادة الاصنام حتى استحق ملكهم كورش ان يدعى مسيح الرب وتسلطوا على قسم كبير من المسكونة ودانت لهم بابل واشور ومصر

(٧) ومعناهُ العقل الصالح وهو الاول بين روؤساء هرمزد (٨) اشارة الى هرمزد واهرمان